المكسيك

❀ الخيبة المكسيكية.. «التكيلا»

❀ الرقص مهذب.. والأكل ملهلب

❀ حكاية حب ليز وبيرتون سبب شهرة هذه المدينة

obeikandl.com

الخيبة المكسيكية.. «التكيلا»

بعد صفارة النهاية فى مباراة مصر والمكسيك فى كأس القارات يولية ١٩٩٩. اكتشف المتابعون معنا للمباراة أننا أسره مصرية، فقد وجدنا أنفسنا فى فرحة كبيرة وقمنا نهتف بالأسبانية «تحيا مصر.. تحيا مصر» وفى الصباح اقترب منا موظف بالفندق الذى نقيم فيه وهو مكسيكى وقال: أنتم مصريون، فكم جملا بعتم لتدفعوا الرشوة لحكم المباراة أمس حتى يمكنكم من التعادل معنا؟. قلنا نحن لا نعرف هذا السلوك فى بلادنا. قال: نحن نعرفه هنا ونعمل به!! وبعد المباراة التالية لمصر، وقف نفس الموظف لينظر إلينا بشماتة وقالت عيناه مش قلتلكم!!.

هذا الحوار قد يعكس حال كرة القدم فى أمريكا اللاتينية، ويعكس واحد فى أشكال السلوك المتبع فى هذه المنطقة.

وياريت الرشوة فقط هى كل الآفات التى يتسم بها مجتمعهم إنما يضاف عليها الكسل، وعدم الدقة فى الكلام وعدم الانضباط فى المواعيد. أما الخيبة المكسيكية الكبيرة فهى «التكيلا» وهى نوع من الخمور المحلية يشربونها فى أشكال استعراضية.. وأجدع الجدعان هو الذى تكون صرخته: أقوى وأطول بعد الشرب وكنت أتصور قبل زيارة المكسيك أن عالم ما بعد المحيط الأطلنطى كله يعيش كما يعيش الأمريكان، وأن ناسه ينعمون بالجنة التى نطمع فيها كسكان منطقة الشرق الأوسط بعد أن أصبح مناخها لا يطاق وبيئتها غير صحية، فكانت الصدمة الكبرى منذ اللحظات الأولى التى هبطت فيها الطائرة إلى أرض المكسيك.

فالجو شديد الحرارة، والمطار غير مجهز بأبسط أنواع المعدات التى تساعد الضيف على الخروج، حتى الترولى الذى يحمل عليه المسافر

أمتعته غير موجود وأعدوا بدلا منه جيشا من الشيالين، وعلى باب المطار يتصارع سائقو التاكسيات، ومندوبو الفنادق، ومسوقو نظام الـ Time Share عمن يحظى باصطيادك فى الأول.

وكيف تكون المكسيك ملاصقة لأكبر دول العالم قوة، اقتصاديا، وعسكريا وهى الولايات المتحدة الأمريكية، وتتركها فى هذه الحالة بينما يستثمر الأمريكيون أموالهم بالمليارات فى الصين واليابان وبلاد كثيرة فى آسيا.

كانت السينما الأمريكية تصور المكسيكيين مغلوبين على أمرهم. يعملون فى تهريب المخدرات إلى أمريكا من الحدود، ويتفننون فى ذلك بكل الطرق، ودائما ينجح البوليس الأمريكى فى كشف ألاعيبهم والقبض عليهم.

وفى الفندق قال موظف الاستقبال نحن غير مسئولين عن أمتعكم خارج الفندق بعد العاشرة ليلا والأبواب الرسمية ستقفل بعد هذا الموعد، وعلى من يتأخر بعد هذا الموعد، أن يستعمل بابا جانبيا للدخول وعلى مسئوليته.

شعب له هوية

ومشكلة المكسيك فى كثرة عدد السكان الذى زاد على ٩٧ مليون ونصف مليون نسمة، وينمو بمعدل ١,٨٤٪. ورغم أن مساحة المكسيك تقرب من المليونين من الكيلومترات المربعة، فإن معظمها جبال غير مسكونة إلا بأعداد قليلة، وتعانى العاصمة «مكسيكو» من الهجرة الداخلية ولذلك فإن الأمان معدوم بها أكثر من غيرها من المناطق المكسيكية.

ونقيس قيمة الدولة بتاريخها وتراثها الإنسانى والثقافى، وهل لها هوية أو هى بلا شخصية وتدور فى فلك الدول المجاورة أو الأكثر غنى وقوة؟

ومن هذه الناحية فإن المكسيك دولة لها تراث ويترك التاريخ على مدنها ومواطنيها تراثا إنسانيا عظيما يتمثل فى الأهرامات الثلاثة اثنان هما «الشمس» و«القمر» الموجدان فى شمال مدينة

مكسيكو وبالتحديد فى تيوتيهواكان والثالث هرم مدينة تولولا. كذلك الأعمدة المزخرفة لشعوب التوليتك ومعبد الساحر فى يوكاتان وديير الفرنسيكان وحديقة بارك الأمريكية فى مدينة ميريدا وقصر بالانك ونصب الاستقلال وحديقة تشيبا ليتبك والمتاحف الستة فى مكسيكو والمنتج الشهير فى أكابولكو، وكنائس مدينة بويبلها الشهيرة.

شعب يغنى

ومع ذلك فإن المكسيكيين شعب ضاحك، ويحب الغناء وله فيه إنتاج عظيم وجميل ومن الغريب أن الشعب الفقير، الذى تتهمه السينما الأمريكية بالعمل بتهريب المخدرات ونتهمه بالكسل وعدم الالتزام له فن غنائى حديث أو تراثى، غاية فى الأدب لا ابتذال فيه ولا أية إيماءات من أى نوع أما الفن التشكيلى المكسيكى فهو الذى يعطى لهذه الدولة قيمة تراثية أجمل.

الغناء المكسيكى روك وباند وحديث، والأخير صورة من غناء المطرب الأسبانى العالمى خوليو أجلسياس. صاحب النبرة الرقيقة والطابع العاطفى والإيقاعات الهادئة.

والمطرب الشاب جون بابلو يمثل هذا الاتجاه ويغنى على إيقاعات الفالس والرومبا، ويقدم أغنيات بها توزيعات هارمونية فى غاية الجمال، وتلعب آلات النفخ فيها دورا رئيسيا فى عزف الجمل الأساسية وهم مبدعون فى العزف على آلات النفخ والجيتار أيضا.

يتخلل الغناء المكسيكى صرخات ليست وحشية إنما هى أقرب إلى الزغاريد العربية.

ولا يتوقف التأثير الأسبانى على الغناء المكسيكى عند هـذا الحـد، إنمـا فى وجود إيقاعات أسبانية مثل رقصة البوليرو التى يطلقـون عليـها أحيانـا اسـم كاتشوتشـا، وقـد ابتكرهـا موسـيقى أسـبانى عـام ١٧٨٠ ويسـتعملها الراقصون فى مدرجات التورو أى فى حلبات الرقص وهى مستعملة فى كل أمريكا اللاتينية أما إيقاع الفالس المعروف وأكثر الرقصات شهرة فـى العـالم والذى بدأ فى ألمانيا والنمسا ثم فى أوروبا وأمريكا فهو الإيقاع الأساسى فى الغناء والموسـيقى والرقـص المكسـيكى يضـاف إليـه إيقـاع الرومبـا المعـروف هناك.

غناء الماتادور ومهرجان المرمبا

وفى المكسيك ينتشر الغناء «الرجولى» وبإيقاعاته الحية والأصوات القوية الجبليـة ولـه تأثـير قـوى علـى النفـس. بقـدرة الأصـوات وأدائـها المتمكـن المنفعل، وأغلبية الأصوات من الرجال وكثير منهم من العـازفين فـى الفرقـة الموسيقية المصاحبة.

والفرقة الموسيقية المصاحبة يرتدون البـدل الضيقـة بنفـس النظـام وعلـى رءوسهم القبعات المكسيكية تتكون الفرقة الموسيقية من ٣ عازفين على آلات الجيتار المختلفة الأحجام. وعازفين على آلات النفخ (ترومبيت) و٦ عازفين على آلات الكمان. ولا يوجد آلات إيقاعية مصاحبة إنما يقـوم بـهذا الـدور آلات الجيتار.

أما الموسيقى الشعبية فى المكسيك فتعتمد على آلة المرمبا وهى تشبه آلـة «القانون» العربى - مكونة من مسطح خشبى عليه أوتار متدرجة فى الطول والسمك مرفوعة على منضدة يتدلى منها مجموعة من الجرابات المفرغة لزوم إصدار أصوات هذه الأوتـار ويسـتعمل العـازف فـى هـذا الغـرض نوعـا مـن المطارق والعصى المكسو باللباد.

ويعزف على آلة المرمبا الواحدة عازفان. واحد أساسى والثانى مساعد يتوقف عن العزف بين الحين والآخر ليلعب على بعض آلات الزخرفة الإيقاعية مثل الرق، والعلب المفرغة وأحيانا على آلات محلية من قرون الحيوانات . ويصاحب آلة المرمبا فى الموسيقى الشعبية المكسيكية عازف على الجيتار، وآخر على آلة الدرامز والجميع يشاركون فى بعض المقاطع الغنائية الجماعية وتستعمل فرقة المرمبا الإيقاعية المكسيكية المحلية، وأحيانا يستعرض العازف الأساسى عليها عضلات فى العزف على شكل تقاسيم مرتجلة، وهو يتحرك بعرض الآلة حركة استعراضية بسيطة وجميلة.

والملابس الرسمية لأى فنان مكسيكى، عازف أو مغن أو راقص هى البدل الضيقة المطرزة وهى نفس ملابس الماتادور أو مصارع الثيران مع القبعة المكسيكية الكبيرة والمصنوعة من الخوص والتى تتنوع فى أشكالها وشياكتها حسب المهنة، والمناسبة أما فى فرقة المرمبا الشعبية فإن قبعاتهم يتدلى من أركانها شرائط حمراء قرمزية.

ويتصور البعض أن أصل آلة المرمبا هى أفريقيا السوداء. والغنية بالغابات، حيث صنعت هذه الآلة من جذوع الشجر باختلاف الخامات والسمك، لكنى أتصور أن الأصل فيها عربى، وقد انتقلت إليها مع الاستعمار الأسبانى الذى دام طويلا هناك وغير مجرى الحياة المكسيكية وأمريكا اللاتينية بأكملها بل وبعض أمريكا الشمالية وكندا.

ومن المعروف أن فجر المدنية فى الأندلس قد انبثق عندما فتحها بنو أمية ٧٥٦ - ١٠٣١ م. وقد ظل ملوكها المسيحيون بعد سقوط الأندلس محتفظين فى قصورهم بالموسيقيين العرب يدعونهم فى أفراحهم وقد تكون آلة «القانون» العربية هى أصل آلة المرمبا المكسيكية التى انتقلت إليها من

أسبانيا، بل وانتقلت إلى أوروبا بأكملها أثناء الحرب الصليبية وأخذت أسماء متعددة منها البسالترى والزمبالون والسنطور والزيتز، وقد زاد الأوروبيون عدد أوتارها وفى بعض الأحيان قللوا، أما الزمبالون فهو صندوق مصوت يستخدم فى العزف عليه نوعان من المطارق والعصى. نوع طرفه مكسو باللباد والآخر خشبى.

استعراضات التكيلا

من المتناقضات الواضحة فى المكسيك أن الفن شديد البراءة والجمال مما يعكس نفوسا صافية وقلوبا نقية، أما الخيبة الكبرى فى نظر سائح مثلى. فهى «التكيلا» المكسيكية التى هى نوع من الخمور التى تترك تأثيرا خطيرا على متعاطيها: هى «حراقة» جدا وعليه أن يفضفض عن نفسه بعد شرب كل كأس منها بأن ينطلق بعدها بالصراخ الشديد، وكلما تعالت الصرخة فاز الشاب بالتصفيق الكبير وربما بقنينة منها فإذا كان الزائر للمكسيك لا يقترب من الخمور والحمد لله فسوف يجد نفسه غريبا فى بلاد التكيلا وهم يتفننون للاحتفال بشربها فى حفلات شعبية واستعراضية ويقيمون من أجلها الرحلات الطويلة.

رحلة إلى بلد مكسيكى متخصص فى صناعة أجود أنواع التكيلا، يقدم صاحب كل مصنع فيها مشروبه للزائرين فإذا مر الزائر بـ ١٥ مصنعا فقد شرب ١٥ كأسا والشاطر اللى يتحمل، واللى يقع يخرج من الرحلة فهى رحلة ومسابقة فى نفس الوقت.

وفى شكل استعراضى لشرب التكيلا، يقف مقدم الحفلة فى الزى المكسيكى الرسمى، البدلة الضيقة المزخرفة، والحذاء ذى الكعب العالى وبلون البدلة ينادى على عدد من الحضور ليقفون صفا بعرض المسرح.

يقف الساقى أمام منضدة عليها زجاجات التكيلا وتبدأ المباراة بالساقى الذى يحمل فى يده كأسا يغطيها بمنديل أبيض، وفى يده الثانية لوح خشبى صغير.

يطلب مقدم الحفل من الجمهور الهتاف بالعد من ١ إلى ٤ وعلى إيقاع الهتاف يضرب الساقى كعب الكأس المملوءة بالتكيلا والمحكومة الغطاء بالمنديل فى يده الثانية، على لوح الخشب ليرج التكيلا جيدا لتصل إلى الحالة المثلى لصلاحيتها وعمل التأثير الحراق فى حلق الشارب.

أول كأس يشربها الساقى نفسه، ثم يطلق صرخته بعد ثانية أو ثانيتين من إبعاد الكأس عن فمه وبعد أن يكون شرب ما فيها فى نفس واحد.

وعلى المتسابقين أن يقتدوا بالساقى ويتباروا فيما بينهم فى علو الصرخة وقوتها وندرتها.

تبدأ المباراة ويجب أن يتمكسك المتسابق قبل بدأ اللعب، بأن تنقل إلى رأسه القبعة المكسيكية وأحيانا يوضع على كتفه العباءة المكسيكية الزاهية الألوان أما الفائز فتحدده قوة صفقة الجماهير الحاضرة وعليه أن يؤدى المباراة مرة ثانية باعتباره فائزا وأما الجائزة فغالبا ما تكون زجاجة تكيلا كبيرة.

وفى الحفلات المكسيكية وزيادة فى الكرم فإن التكيلا تدور على كل الحضور لزوم الصهللة والانسجام مع المسابقة.

وشكل استعراضى آخر للتكيلا المكسيكية يبدأ بتوزيع بعض منها فى كاسات صغيرة على جمهور الحاضرين، ويتم اختيار عدد من المتسابقين وبعد تقديم الملابس الرسمية، والاستعراضات المهدة من رقصات فولكلورية تبدأ المسابقة فتوضع زجاجات التكيلا أمام المتسابقين على الأرض وعلى المتسابق أن يضع يديه وراء ظهره ومع نداء الجماهير ١، ٢، ٣، ٤ يتنافس

المتسابقون فى سرعة التقاطها بالفم ثم تغريغـها فـى المعـدة بـدون اسـتعمال الأيادى وأول المنتهين من هـذه العمليـة يكـون هـو الفـائز بـالتصفيق الحـاد وبزجاجة التكيلا.

وفى الاستعراضين الأول والثـانى للتكيـلا تشـارك النسـاء فـى مسـابقات خاصـة تبدأ بنفس الترتيب والخطوات بعد أن ينتهى الرجال من دورهم.

فى المكسيك يشربون التكيلا بكثرة، وببساطة كما نشـرب نحـن العـرب الكـازوزة، وهـم يتفننـون فـى إقامـة الحفـلات وفـى شـكل الاسـتعراضات ويقدمونها للضيوف حتى يتساقطوا من فرط الشرب فهل هذا من باب الكرم أو من باب الخيبة التكيلا؟.

الرقص مهذب.. والأكل ملهلب!

هل وجود أهرامات فى مصر، والمكسيك نوع من الصدفة؟ ولماذا يتعامل معنا المكسيكيون على أننا منهم؟ وهم الذين تعودوا رؤية السائحين بالملايين فى بلادهم.. فمعظمهم يجيد التحدث باللغة الإنجليزية أو قل الأمريكية صاحبة السطوة عليهم وعلى كثير من غيرهم، وأقرب الجيران لكن يكلموننا بالأسبانية، فإذا رددنا بالإنجليزية علت الدهشة وجوههم لأننا لسنا من المكسيك ولنا نفس الوجوه التى لهم، ونفس الروح؟

فهل كانت هناك علاقات قديمة لا نعرف عنها شيئا بين قدماء المصريين والمكسيك؟ وإلا فلماذا هذا الفن المكسيكى النوبى المشترك؟ ثم لماذا كل هذا الحب منى لبلد لم أجد فيه إلا الحر الشديد؟ وكثيرا من الفقراء. وبعض الدجالين؟.

وإذا كان الاستعمار الأسبانى قد غير المكسيك وغير فى أشكال أهلها، فإنه لم يمح التقاليد السائدة ولا التراث الإنسانى والثقافى. لكنه أضاف إليها ملامح أسبانية معروفة، منها رياضة مصارعة الثيران التى يهتم بها المكسيكيون ولكن من باب التراث فهى ليست موجودة بالكثرة الموجودة بها فى أسبانيا حيث ترى فى الطريق إعلانات عن هذه الرياضة عبارة عن تمثال لثور أسود ومكتوب تحته تورو فتعرف أن هنا مسرحا أو ملعبا لمصارعة الثيران يحدث هذا فى أسبانيا، أما فى المكسيك فتكفى لافتة صغيرة على باب الملعب.. ويعانى المكسيكيون من الفقر لقلة الموارد فمن المألوف أن ترى فى الشوارع طفلا لم يتجاوز الخامسة يلعب فى التراب بيده، والأخرى يحمل عليها علبة لبان ليبيعها للمارة.

كما أن الشحاتين يتفننون فى ممارستهم المهنة بجرأة وباحتراف أما الباعة الجائلون فالإلحاح الشديد سبيلهم للبيع.

والمواطن المكسيكى خليط فى شكله ولون بشرته بين الشكل الأسبانى، وبالتالى الشكل العربى، وشكل مواطنى جزر هاواى، والشكل الأول أوجدته إقامة الأسبان وحكمهم لفترة زمنية غير قصيرة.. والثانى للعلاقة الجغرافية التى تربط المكسيك باعتبار موقعها على شاطئ المحيط الهادئ والتى تقع فى داخله جزر هاواى تقطع الطائرة المسافة بين المكسيك وهاواى فى أقل من خمس ساعات.

ويظهر أثر هذه العلاقة الجغرافية على الفن المكسيكى والهاوايتى وخاصة فى الفن التشكيلى وفن الرقص بأنواعه. فالفنان المكسيكى الرسام مغرم بالرسومات والموتيفات التى تعكس هدوء المحيط الجميل. والطبيعة الساحرة حوله.

وأكثر ما يحرص السائح فى هذه المناطق أن يشتريه هى اللوحات التى تصور لحظات غروب الشمس وشروقها بالقرص الذهبى الأحمر وما يصنعه هذا الحدث فى سماء المحيط الهادى من أشكال بديعة فى ألوانها وتأثيرها وشروق الشمس وغروبها فى المكسيك خاصة فى موانئها يعطى تأثيرا رومانسيا بجماله الأخاذ والذى يندر وجوده فى أى منطقة أخرى على وجه الأرض.

بلد الشمس

والفنان المكسيكى المثال مبدع، وقد تفنن فى عمل تماثيل للطبيعة والأشياء المحيطة من كل الخامات الموجودة حوله من النحاس والحديد، والحجر الموجود على شاطئ الأطلسى بأشكال وألوان فريدة، وخامات نادرة ومن الورق المشمع.

أما أكثر الموضوعات فى خيال المثال المكسيكى فهو قرص الشمس الذى يصوره من خامات الحديد، والجبس والفخار والخزف والخشب.

كذلك فهو مغرم بنحت الفازات والجرار بأشكال مبتكرة، ومن خامات منفردة كما يتفنن فى نحت بورتريهات ساخرة وضاحكة وحزينة وكاريكاتيرية.

وفن العرائس المتحركة من الفنون التى تزين الحوانيت المكسيكية كبيرها وصغيرها، وهم يصنعون منها شخصيات كاريكاتيرية مثل مطرب الليلة الكبيرة فى مصر والذى يغنى فى الموالد يا غزال يا غزال، كما يصنعون الراقصة التى تغنى طار فى الهوا شاشى.

والتأثير بالفن المصرى واضح فى سوق الفن المكسيكى خاصة بالفن النوبى، ففى الفنادق يزينون الجدران بصورة لبورتريهات أشبه بالوجه النوبى الأسمر أما الخوص فهى خامة أساسية فى المكسيك.. فبالإضافة إلى صنع القبعات المكسيكية المميزة. فإنهم يتفنون فى صنع الأطباق المزخرفة منها كما يصنعون أشكالا من أدوات منزلية. وللزينة. وهى قريبة الشكل مما يصنعه أهل النوبة فى مصر. وهم أيضا يصنعون منها أسقف الحوانيت.

والعباءة المكسيكية المزخرفة تستعمل فى التشريفة والاحتفالات الرسمية والشعبية ويحرص كل سائح أن تلتقط له صورا بها فهى زاهية متراصة الألوان كشكل عمود الألوان فى نهاية الإرسال التليفزيونى أو كألوان الطيف.. وهى نفس الألوان التى تميز الفن النوبى المصرى مما دعا البعض بأن يربط بين الحضارة المصرية القديمة.. والحضارة المكسيكية القديمة.. أيضا بدليل أن الأهرامات فكرة مصرية فريدة ولا توجد فى العالم مرة أخرى إلا فى المكسيك حيث أهرامات الشمس والقمر وهرم مدينة تولولا.

والرقص فى المكسيك له أشكال كثيرة منها الرقص التراثى القديم. وهو رقص الهنود الحمر ورقص المحترفين والرقص الحديث..

والهنود الحمر هم أصل سكان المكسيك قديما.. ولم يبق إلا أهراماتهم ورقصاتهم الفولكلورية التى تستخدمها بعض الشباب كنوع من الشحاتة فى الشوارع وعلى الشواطئ المكسيكية يشترك فيها ٦ راقصين من الجنسين البنات يرتدين ملابس من قطعتين العليا منها تتدلى بعضها ليغطى الخصر المكشوف وغطاء الرأس يخرج منه الريش المعروف وفى الأرجل خلاخيل رفيعة. أما الرجال فملابسهم على شكل المايوه المزخرف. أما غطاء الرقص فله شكل الدروع الواقية والريش الأكثر والأكبر. والخلاخيل كبيرة وكثيفة فى منطقة الركبة وفوق القدم. وتحمل عددا كبيرا من الشخاليل وتصاحب الطبول هذه الرقصات مرفوعة على قواعد خشبية ومصنوعة من خامات بيئية.

بعد الرقصة التى لا تطول كثيرا. تحمل إحدى الراقصات طبقا من الخوص لتدور على المتفرجين والجدع يشجع الجدع.

أما رقص المحترفين فى المكسيك فهو متأثر بالفن فى هاواى وفى أسبانيا..

من هاواى يرتدى الراقصون فى الحفلات الشاطئية الجونلات الطويلة المصنوعة من الخوص الملون.

أما على المسارح فيبدأ الرقص المكسيكى بعد أن تدور ثلاث راقصات على المتفرجين لتطلب منهم مشاركتهم الرقص على المسرح. وهو سلوك هوايينى معروف. ويبدأ الرقص فى حركة بسيطة يقلدها المتفرجون.

وملابس الراقصات ملونة فضفاضة والتيمة الأساسية فى الحركة الراقصة تعتمد على هز الصدر المغطى فى حركة برئية ثم تيمة حركة ذيل فستان

الراقصة برفعه وتحريكه دائريا «ببراءة برضه» اما الإيقاع الأساسى المستخدم فهو الفالس العالمى والفرقة المصاحبة هى فرقة المرمبا للفن الشعبى المكسيكى.

وفى رقصة محترمة أخرى، يدخل الراقصون الرجال بعد الراقصات (من ٣ إلى ٤ فقط) ويبدأ التأثير الأسبانى فى الرقص المكسيكى، فتعتمد الرقصات المشتركة بين الرجال والنساء على دق كعوب الرجال على المسرح فى شكل الكلاكيت المعروف، لكن الدق القوى يقوم بدور الإيقاع فى الرقصة ويعطيها حيوية تقضى على الملل الذى يسببه تكرار الحركة الراقصة. فالرقصات المكسيكية فقيرة فى حركاتها.

ولعل رقصة العروسة والعريس من أجمل الرقصات المكسيكية وفيها يظهر على المسرح بعد حالة إظلام تام ٦ راقصين من الجنسين فى ملابس بيضاء البنات ملابسهن فضفاضة يزين ذيلها بخطوط ملونة والرجال فى أزياء مكونة من قطعتين. وأحذية بكعوب مدببة قوية.

تبدأ الرقصة جماعية ثم يتوسط راقص وراقصة المسرح وتلقى هى بشريط قماشى أحمر على الأرض. ويقترب الراقصين ليحاولا عمل فيونكه من الشريط مستخدمين الأرجل فقط. ثم يرفعان الشريط بأيديهما لاستعراض الفيونكة للحضور وتنتهى الرقصة جماعية كما بدأت.

وفى المكسيك رقصة من اللون الدرامى أيضا يشارك فى تقديمها راقصتان وراقص. وتحكى بالحركة المكررة على إيقاع الفالس والموسيقى (المرمبا) قصة شاب يعرض قلبه على فتاة لكنها تتقل عليه فيصرف نظره عنها ويتجه إلى أخرى فتظهر هى حقدها عليه، ثم غيرتها من الأخرى، ويتفقن هو فى الكيد لها فتكشف للأخرى أنه غير مخلص لها وتتفق الراقصتان على ضربه علقة ساخنة لتنتهى الرقصة الدرامية البسيطة بضحكة عالية من المشاهدين والراقصين أيضا.

المكسيكيون شعب راقص مثل شعوب أفريقيا يجيدون الرقص ويحبون الرقصات الحديثة والعالمية، مثل رقصة مكرونى المعروفة وغيرها. ولهم رقصات حديثة مماثلة ومنها رقصة يلتفون فيها فى دوائر يتوسطهم أبرزهم أو أكبرهم سنا أو أكثرهم حضورا ليحتفلوا به ويكرموه بالرقص الجماعى وعلى إيقاعات الرمبا أو الفوكس تروت أو الفالس.

وكل أنواع الرقص المكسيكى، مهذب ورغم أن الرقص تعبير عن رغبة غير مهذبة فإن هذه الرغبة لا تظهر فى حركاتهم الراقصة الفردية أو الجماعية ولا تخرج حركاتهم من سلوكيات الحياة العامة والنشاطات الاجتماعية فى العمل فى المناجم والصيد وحياة البحر بصفة عامة.

أكل ملهلب

والشطة أحد الملامح فى الطعام المكسيكى ويتفننون فى زراعتها وإنتاجها ويتخذون منها أشكالا مختلفة من الأكل المكسيكى ويصورونها فى تماثيلهم الشمعية والورقية. وهم يضعون الشطة على الفاكهة وعلى الذرة المشوية.

أما أنواع الحلوى فهى كثيرة جدا ولها أشكال غير مألوفة وألوان نادرة منها الخضراء والزرقاء والبمبى فى أشكال قوالب وأقراص، كما يأكلون فاكهة الموز مقليا فى الزيت.

ومن الظواهر الشعبية فى المكسيك انتشار عربات المأكولات على نواصى الشوارع ويلتف حولها الأهالى للأكل. كما يقف بعض الباعة على النواصى لبيع ثمرات الفاكهة والخضراوات مقشرة وغير مقشرة على عربات أشبه بالتى يحمل فيها عمالنا المونا.. لتوصيلها إلى مكان البناء.. أما عملية البناء فتتم كما هى فى مصر والبلاد العربية من خلال المسطرين والمونا التى تصل من تحت موقع البناء بواسطة القصعة أو الجردل.

والأعمدة الكهربائية معظمها خرسانية والشوارع يقف عند نواصيها عساكر المرور بالصفارة، لكن لهم مصداقية ويمتثل السائقون لأوامرهم.

والشوارع المكسيكية تجرى فيها الكلاب الضالة من أنواع نادرة وهى نفس الأصناف التى يفتخر باقتنائها الأوروبيون والأمريكان الذين يحرصون على علاجها فى المستشفيات ويذهبون بها إلى الكوافير والبيديكير والعيادات النفسية.

والخامات المكسيكية من المنسوجات خاصة جدا وهى رخيصة ويجيدون صناعة المفارش المختلفة الأحجام والأشكال، وهم ينشرون الملابس المغسولة فى داخل شرفات المنازل بشكل واضح.. ويميل المكسيكيون فى طلاء بيوتهم بالألوان الوردية المستعملة بكثرة فى المدن الأسبانية والولايات المتحدة الأمريكية.

أما البوليس المكسيكى فينتشر فى الشوارع بكثرة فى دوريات تستعمل سيارات نصف نقل، وهى نفس السيارات التى يستعملها المكسيكيون أحيانا كوسيلة انتقال جماعية رخيصة بجوار سيارات النقل العام والتاكسيات ومعظم الأخيرة متهالك، وقديمة الصنع وغير مجهزة بأجهزة التكييف رغم شدة الحرارة فى بلادهم. كما أن السائقين لا يستعملون الإشارات فى سياراتهم عند تغيير الاتجاه.

الحياة المكسيكية قريبة الشبه من الحياة فى الشارع المصرى حتى الطيور التى تحوم وترسو على الأرض بجوار الناس مثل الحمام والعصافير هى نفسها فى المنطقتين ومثل هذه الطيور تختلف أشكالها دائما باختلاف المنطقة التى تعيش فيها.

وبالمكسيك بعض الحيوانات النادرة الموجودة فى الجبال وغير الموجودة فى البيئة العربية، كما أن بها الحمار الوحشى المخطط والسادة.. يقف بها أصحابها على نواصى الشوارع وقد حليت ظهورها ببرادع زاهية الألوان فى انتظار السائحين ليركبوها، وعلى رؤوسهم البرنيطة المكسيكية لزوم الصور التذكارية.

حكاية حب ليز وبيرتون..
سبب شهرة هذه المدينة!!

ميناء مكسيكى اسمه بورتوفيارتا ذهب إليه المخرج العالمى جون هيوستن ومعه إليزابيث تيلور وريتشارد بيرتون لتصوير فيلم هناك. أعجبت ليز بالميناء ومناظره، وصفاء شمسه وجوه فبنت منزلا لها هناك، الحب الحراق دفع بيرتون لشراء أرض بجوار بيت الحبيبة بنى هو أيضا عليها بيته. ودفعهما الحب المشطشط لبناء كوبرى مشاه يربط بين البيتين لتسهيل اللقاءات الغرامية الساخنة بين أشهر نجمين فى السينما فى عصرهما. وإذا كانت مصائب قوم عند قوم فوائد فإن غرام نجمة عند قوم فوائد أكثر. فقد أصبحت شهرة الميناء عالمية منذ هذا التاريخ، وأصبحت بورتوفيارتا هدفا للسائحين من كل من شاهد الفيلم أو لم يشاهده وسمع عنه وعن قصة حب الأسطورية لبطليه.

وقفت القوات الأسبانية فى الميناء، أعجب قائدها بمياهه وورورده وفاكهته. أرسل إلى ملك المكسيك يبلغه بأن الميناء أصبح ملكية أسبانية، كان ذلك عام ١٥٢٥ عندما ظهرت القوات الأسبانية فى المنطقة تبحث عن أرض وشعب.

الميناء يقع على خليج باهيادى بندارس أكبر خلجان أمريكا اللاتينية، وكان هدفا للقراصنة والصيادين، يتزودون منه بالمؤن والماء. فى عام ١٨٨٥ جاء إليها رجل اسمه جواد أليوب. أنشأ فيها مدينة وأسماها ألاس بناس دى سانت ماريا دى جواد اليوب. ويعيش أهلها حياة هادئة بجوار مناجم النحاس فى جبل سييرامادر المطل على المحيط الهادئ الزاخر بأنواع الأسماك. وقد بنى الرجل كنيسة ولما مات حملت اسمه وأصبحت من المعالم البارزة لها بل أقاموا له تمثالا أمامها.

والمكسيك ١٢ محافظة يجمعها اتحاد فيدرالى، ويقع الميناء فى محافظة اسمها خالسكو، وفى عام١٩١٨ كان يتولى منصب المحافظ فيها رجل اسمه فيارتا فأطلق اسمه على الميناء الجميل فأصبح اسمه بورتوفيارتا وبدأت حركة التجارة لها من العاصمة مكسيكوسيتى ١٩٥٩ عندما ربطتها السلطات المكسيكية بالطيران والبواخر بباقى مدن الدول فزادت أعداد السائحين والزائرين للمدينة.

مدينة صنعتها السينما

وفى عام ١٩٦٣ وصل إلى بورتوفيارتا المخرج العالمى جون هيوستن والنجمان المحبوبان اليزابيث تيلور وريتشارد بيرتون وكان لهيب الحب يحرق قلبيهما، وذلك لتصوير فيلم «الليل فى أجوانا» وكان التصوير يتم فى قرية اسمها «مسماتويا» جنوب بورتوفيارتا وتم التقاط بعض مناظره فى فندق اسمه «بارسيو» والبعض الآخر فى شوارع بورتو فيارتا، وكانت مجموعة العمل فى الفيلم تقيم فى الميناء وينتقلون إلى مكان التصوير التى لم يكن هناك طرق معبدة إليها وإلى مسماليا.

أما المخرج جون هيوستن مكتشف موقع التصوير والسبب فى شهرة الميناء الذى أصبح عالميا جذابا للسائحين. فقد أقامت له إدارة المدينة تمثالا نصفيا فى مدخل المنطقة التى سكنها النجمان المحبان.

باعت ليز منزلها لأحد المواطنين المكسيك فحوله إلى مزار للسائحين ووضع صورة لها ٤٥ × ٤٥ سم فى مدخلة وراء الباب الحديدى تظهر للمارة وكتب على أعلى الباب أن مواعيد زيارة المنزل ممكنة من ٩ صباحا إلى الخامسة مساء. وثمن تذكرة الدخول ٦ دولارات أمريكيا فإذا رغبت فى ذلك فاضغط على الجرس الموجود على باب المنزل.

ويتدفق السائحون بأعداد هائلة لتذكر قصة الحب الخالدة بين النجمين، وتنظم شركات السياحة الرحلات لهم ليشاهدوا غرفة نوم ليز

وبعض حاجياتـها وهنـا كـانت تجلـس لقـراءة السيناريوهات.. وفـى هـذا الصالون كان العشيقان يلتقيان.. و.. و..

وحتى عـام ١٩٦٧ لم يكـن فـى بورتـو فيارتـا شـارع واحـد أمـا المرسـى البحرى والمطار فقد أنشأتهما المكسيك عام ١٩٧٠، ثم بنـت شـوارع المدينـة من الحجـر المعشـق وزينـت أرصفتـها الضيقـة بـالظلط فـى أشـكال أسمـاك مختلفة وحيوانات بحر وقدم محافظ خالسكو للميناء شعارها فى السـتينات وهو عبارة عن فرس البحر.

وعمر الشريف كان هناك

وتوالت الأعمال الفنية المصورة فى بورتوفيارتا فقـد صـور المخـرج أرنولـد شوازنجر فيلما هناك وقام ببطولته أنطونى كويـن وكيفـين كوسـتنز،كمـا تم تصوير مسلسـل تلفزيونـى عـام ١٩٩٤، كمـا تم تصويـر فيلـم سـولو بطولـة ماريوثون بيبكز وبيرتون ومعهما ناتالى وود ومعهم عمر الشريف وصورا فيلما آخر عن منطقة سان سباتيان القريبة من ميناء بورتوفيارتا.

والميناء أرض لرومانسية تسـتمدها مـن صـور المحيـط الهـادى وانعكـاس الشمس فى الغروب والشروق على صفحـة الميـاه فـى ألـوان جميلـة ورقيقـة وأشكال بديعة ومن أجل الاستمتاع بهذا المنظر الرائع تقيم شركات السياحة رحلاتها إلى منطقة اسمها «لوس أكـروس» يقـف فيـها السـائحون بـالآلاف يوميا صباحا ومساء للاستمتاع بما تفعله الشمس عند مجيئها ورواحـها فـى السماء وعلى الماء، ويلتقطون أمامها الصور التذكارية.

وتخصص شركات السياحة لذلك بواخر صغيرة مفتوحة الجوانـب، كمـا تعد لها الفقرات الموسيقية التى تقدمها الفرق المكسيكية فى استقبال السياح ووداعهم، وأيضا فى استقبال الشمس وعند وداعها.

شاطئ الرومانسية

كما مهدت إدارة الميناء شارع الكورنيش فى منطقة وسط البلد وأطلقت عليه اسم الشاطئ الرومانسى، وهو عريض، وبلا سور أمام المحيط الهادى، وتتراص حوله بعد الطريق العام عدد من المطاعم والمحلات التجارية والسياحية وكلها يحرص على أن تكون لها شرفات بعرض المبنى لا يحجب رؤية المحيط وشمسه عن السائحين وأسوارها من أعمدة جديدة رفيعة وهذه المطاعم مزدحمة بالسائحين ليلا ونهارا، وهى تقدم لزبائنها الأطعمة، وما يطلبونه من أغنيات عالمية ومكسيكية من خلال فرق صغيرة تعزف على الجيتار تمر على المناضد تعزف وتغنى وتحصل على الأجر فوريا من الزبائن. أما الكورنيش ففى النهار يمتلئ بباعة البالونات ولعب المظلات وهى بارشوتات صغيرة يتدلى منها تماثيل خشبية مربوطة بخيوط يمسك بها الطفل ويلعب بها كما يلعب بالطائرة الورقية.

وعلى الشاطئ الرومانسى تباع لوحات الفنانين المستلهمة من البيئة وبجوارها يجلس الفنانون ليتابع السائحون كيف يرسمون والخامات المستعملة.

وتنتشر على الشاطئ الرومانسى «قرعات» البوظة فى شكل ثمرة الكمثرا الكبيرة ويلازمها صفيحة مملوءة بالماء، يحملها البائع كما كان يحمل السقا قربة الماء فى حوارى مصر، زمان.

وعلى الشاطئ الرومانسى تنتشر مجموعة كبيرة من التماثيل النحاسية والحجرية السريالية. منها ما هو فى قالب أسماك، ومنها فرس البحر رمز المدينة، ومنها عدد من الفلكيين الذين يرصدون حركة النجوم من خلال تلسكوبات، وتمثال لشاب وفتاة، وآخر حجرى لصياد.

فن الشوارع

وفى الليل تنتشر فرق الفن المكسيكى تحت التماثيل، وتقدم فنونها الشعبية والتراثية مقابل تبرعات المشاهدين، أما المسرح الإغريقى فى وسط المدينة، فتقدم عليه عروض كوميدية تتخلص من مشكلة اللغة بتقديم عروض هزلية من لون «الفارس» والتى تعتمد على الحركة أكثر من اعتمادها على اللغة.

كما ينتشر على الشاطئ الرومانسى باعة الذرة المشوى والمسلوق والمغطى بالجبن المبشور أو الزبدة وباعة غزل البنات، والسودانى والفشار وشرائح الفاكهة المغطاة بالشطة.

جبل ومحيط

يبلغ تعداد سكان بورتو فيارتا ٣٥٠ ألف نسمة ويزورها سنويا مليون ونصف مليون سائح من هواة السباحة والغطس وصعود الجبال والنزول للماء للعب مع الدلافين، وإن كان الأخير يكلف السائح كثيرا فالفرد يلعب مع الدولفن بـ ٨٥ دولارا أمريكيا!!

وتقيم الشركات السياحية رحلات للزائرين باللنشات والبواخر والطائرات والسيارات وعلى ظهور الخيل، وبالباراشوتات لرؤية نظرة عامة على الخليج والجبل والمحيط، وفى المحيط تجرى البواخر الصغيرة تحمل السائحين لرحلات يغطسون فيها لرؤية الشعب المرجانية فى قاع المحيط، وأيضا الأسماك الملونة، ويزودونهم لذلك بأدوات الأمان مثل جاكيت الحياة وأجهزة التنفس، وهى دائما مستعملة وغير نظيفة. كما يشكو السائحون من قنديل البحر الذى يلسع أجسادهم فيفرون إلى الباخرة التى تقف دائما فى عرض المحيط فى انتظارهم حتى ينتهوا من الغطس والاستحمام.

ويستمتع السياح بمشاهدة عدة صخور صغيرة خضراء سطحها فى خليج باهيادى بندارس، تتخللها فتحات تمثل كهوفا يعشق السياح اختراقها سابحين أو طافين على سطح المحيط.

وعند المحطة الأخيرة للباخرة السياحية الصغيرة عدة قهاوى يقف أمامها مكسيكيون فى انتظار السائحين حاملين حيوان «الإيونا» وهى مثل السحلية الأمريكية لكنها فى حجم بطة كبيرة ولها ذيل طوله متر تقريبا ويعلو ظهره سلسلة جلدية طويلة مشرشرة وهو موجود بكثرة فى الغابات المكسيكية ويرتزق بعض المكسيكيين بتقديمه للسياح من هواة المغامرة ليلتقطوا لأنفسهم الصور التذكارية وهم يحملونه على الأيادى. كما ينتظر قوافل السائحين جحافل الباعة الجائلين للهدايا التذكارية الفضية والبرونزية، والحاجة أم ١٠٠ تأخذها بعشرة ولا ينسى منظمو الرحلات تحية الزائرين.. بالتكيلا المكسيكية دائما.

ولا ينساها أيضا منظمو الرحلات التى تشاهد جبل سييرا مادرا المطل على خليج باهيا دى بندراس من فوق خلال رحلات بالطائرات لمتابعة قبيلة الهيوشول Huichol الذين يعيشون وسط الجبل منذ القرن التاسع عشر منقطعين تماما عن الحضارة والثقافة ويعيشون على عاداتهم الخاصة وفى بيوتهم القديمة الأثرية ولم يزد عددهم على ١٦ ألف نسمة، وتحذر دائما الشركة السياحية بعدم الاقتراب منهم وعدم استعمال آلات التصوير المختلفة.

وفى الجبل شلال يصل إليه السائحون على ظهور الخيل وعلى الأرجل، فى ممرات طويلة فى الجبل، خانقة رائحتها تزكم الأنوف أما منطقة سان سباستيان التى يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر والتى تعد أقدم المناطق المكسيكية فيعيش عليها ٣٠ ألف نسمة، ترعاها هيئة

الأمم المتحدة اليونسكو، وعليها تم تصوير فيلم عمر الشريف مع ليز وبيرتون وناتالى وود.

إن شعب المكسيك، يغنى ويرقص اكثر مما يعمل، ويتكلم أكثر مما يغنى. مثله كمثل كثير من دول الشرق الأوسط، لذلك فهو شعب فقير رغم الطبيعة العظيمة حول المحيط الهادى وجباله البديعة، ولذلك لم تكن مفاجأة لى عندما طلبت موظفة الجوازات فى مطار بورتوفيارتا ١٦ دولارا كرسم مغادرة لكل زائر للمكسيك.

obeikandl.com